(**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩) بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠)**) .

[البقرة : ٨٩ – ٩٠] .

(**وَلَمَّا جَاءَهُمْ**) أي : اليهود .

(**كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**) وهو القرآن الكريم ، وسبق لماذا سمي القرآن كتاباً .

- قال الرازي : قد اتفقوا على أن هذا الكتاب هو القرآن لأن قوله تعالى (مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ) يدل على أن هذا الكتاب غير ما معهم وما ذاك إلا القرآن.

(**مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ**) أي : أن هذا القرآن مصدق لما معهم من التوراة ، قال قتادة : وهو القرآن الذي أنزل على محمد مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل .

- وسبق معنى تصديق القرآن للكتب السابقة عند الآية [٤١] .

(**وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ**) أي : وكان هؤلاء اليهود قبل مجيء هذا الرسول ﷺ بالقرآن .

(**يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا**) أي : يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين ، والاستفتاح: الاستنصار، وهو طلب الفتح والنصر، فطلب الفتح والنصر به هو أن يبعث فيقاتلونهم معه، فبهذا ينصرون .

(**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا**) أي : من الحق وصفة محمد ﷺ الذي كانوا ينتظرونه .

(**كَفَرُوا بِهِ**) ولم يؤمنوا به ، ولم يؤمنوا بما جاء به .

عن قتادة قال : كانت اليهود تستفتح بمحمد ﷺ على كفار العرب من قبل ، وقالوا : اللهم ابعث هذا النبي الذي نجده في التوراة يُعذبهم ويقتلهم ! فلما بعث الله محمداً ﷺ فرأوا أنه بُعث من غيرهم كفروا به حسداً للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله ﷺ يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة .

(**فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**) اللعن : هو الطرد من رحمة الله ، وهؤلاء لعنوا وطردوا من رحمة الله لأنهم كفروا بالرسول ﷺ الذي يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .

(**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**) أي : أن اليهود باعوا الحق بالباطل ، وكتموا ما جاء به محمد ﷺ بأن يبينوه .

(**بَغْياً**) أي : وإنما حملهم على ذلك البغي ، والأكثر على أن المراد بالبغي هنا الحسد ، والظاهر أنه أخص من الحسد .

(**أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**) أي : لأجل إنزال الله الفضل على نبيه ﷺ .

- والمراد بالفضل هنا النبوة والقرآن .
- **قال الطبري** : بئس الشيء باعوا به أنفسهم الكفر بالذي أنزل الله في كتابه على موسى من نبوة محمد ﷺ والأمر بتصديقه واتباعه ، من أجل أن أنزل الله من فضله – وفضله حكمته وآياته ونبوته – على من يشاء من عباده ، يعني به على محمد ﷺ ، بغياً وحسداً لمحمد ﷺ من أجل أنه كان من ولد إسماعيل ولم يكن من بني إسرائيل .
- قوله تعالى (على من يشاء من عباده) هذه المشيئة لحكمة .

- **قال الشيخ ابن عثيمين** : وليُعلم أن كل شيء علّقه الله بالمشيئة فإنه مقرون بالحكمة ، أي : أنه ليست مشيئة الله مشيئة مجردة هكذا تأتي عفواً ، لا ، بل هي مشيئة مقرونة بالحكمة ، والدليل على ذلك قوله تعالى (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) فلما بيّن أن مشيئتهم بمشيئة الله بيّن أن ذلك مبني على علم وحكمة .

(**فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ**) باءوا : أي رجعوا ، وأكثر ما يقال في الشر .

واختلف العلماء في معنى (بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ) أما الغضب الثاني فسببه هو كفرهم بمحمد ﷺ بعد أن عرفوا صفته وأنه النبي المبعوث .

وأما الغضب الأول فسببه كفرهم بعيسى ﷺ ، ويدخل في ذلك أيضاً عبادتهم العجل ، وتضييعهم التوراة ، وقولهم عزير ابن الله ، وقولهم يد الله مغلولة ، وقولهم : إن الله فقير ونحن أغنياء .

- **قال ابن الجوزي** : في قوله تعالى (بغضب على غضب) خمسة أقوال :

أحدها : أن الغضب الأول لاتخاذهم العجل ، والثاني : لكفرهم بمحمد ، حكاه السدي عن ابن مسعود وابن عباس.

والثاني : أن الأول لتكذيبهم رسول الله ، والثاني : لعداوتهم لجبريل.

والثالث : أن الأول حين قالوا (يد الله مغلولة) والثاني : حين كذّبوا نبي الله ، واختاره الفراء .

والرابع : أن الأول لتكذيبهم بعيسى والإنجيل ، والثاني : لتكذيبهم بمحمد والقرآن.

والخامس : أن الأول لتبديلهم التوراة ، والثاني : لتكذيبهم محمداً ﷺ قاله مجاهد .

(**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ**) أي : عقوبة .

(**مُهِينٌ**) أي : ذو إهانة وإذلال ، لما كان كفرهم سببه البغي والحسد ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) أي : ذليلين حقيرين ، ومن إهانتهم أن يقال لهم (قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ) .

الفوائد :

١- أن القرآن من عند الله .

٢- أن من أسماء القرآن الكتاب .

٣- أن القرآن مصدق للكتب السابقة .

٤- إقامة الحجة على اليهود بمعرفتهم بالنبي ﷺ وببعثته .

٥- شدة عناد واستكبار اليهود .

٦- خطر الحسد وأنه سبب للصد عن الحق .

٧- أن من رد الحق حسداً ففيه شبه من اليهود .

٨- وجوب قبول الحق من أي شخص كان .

٩- أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء تبعاً لحكمته .

١٠- أن العقوبات سببها المعاصي والذنوب .

١١- أن المستكبر يعاقب بنقيض قصده .

١٢- إثبات الغضب لله إثباتاً يليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه .

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩١) وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢)) .
[البقرة : ٩١ – ٩٢] .

(**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ**) أي : لليهود وأمثالهم من أهل الكتاب .

(**آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ**) على محمد ﷺ وصدقوه واتبعوه .

(**قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا**) أي : يكفينا الإيمان بما أنزل علينا من التوراة والإنجيل .

(**وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ**) أي : بما سواه .

- قوله تعالى (وراءه) من كلمة الأضداد، تأتي لمعنىً ولضده، فهي تستعمل بمعنى خلف وبمعنى أمام، فقوله تعالى (وراءهم ملك يأخذ ..) أي : أمامَهم .

(**وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ**) تقدم معنى تصديق القرآن للكتب السابقة .

(**قُلْ**) رد عليهم من الله في قولهم أنهم آمنوا بما أنزل عليهم ، وتكذيب منه لهم وتوبيخ .

(**فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**) أي : إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان بما أنزل إليكم فلم قتلتم الأنبياء الذين جاءكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها وأنتم تعلمون صدقهم ، قتلتموهم بغياً وعناداً واستكباراً على رسل الله .

- والخطاب لمن حضر محمداً ﷺ ، والمراد أسلافهم ، وإنما توجه الخطاب لأبنائهم ، لأنهم كانوا يتولون أولئك الذين قتلوا ، وقيل : لأنهم رضوا فعلهم فنسب ذلك إليهم .

- **قال ابن عطية** : (فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ) وجاء (تقتلون) بلفظ الاستقبال وهو بمعنى المضي لما ارتفع الإشكال بقوله (من قبل) وإذا لم يشكل فجائز سوق الماضي بمعنى المستقبل وسوق المستقبل بمعنى الماضي.

- **وقال ابن الجوزي** : وتقتلون بمعنى : قتلتم ، فوضع المستقبل في موضع الماضي ، لأن الوهم لا يذهب إلى غيره .

- **قال السمرقندي** : وفي الآية دليل أن من رضي بالمعصية فكأنه فاعل لها ، لأنهم كانوا راضين بقتل آباءهم الأنبياء ، فسماهم الله تعالى قاتلين .

وفي الآية دليل أن من ادعى أنه مؤمن ، ينبغي أن تكون أفعاله مصدقة لقوله ، لأنهم كانوا يدعون أنهم مؤمنون بما معهم .

(**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ**) أي : بالآيات الواضحات ، والدلائل القاطعات على أنه رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله .

والبينات هي الموضحة في قوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ) والعصا واليد، وفلق البحر، وتظليلهم الغمام، والمنّ والسلوى وغير ذلك من الآيات التي شاهدوها .

(**ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ**) معبوداً من دون الله في زمان موسى .

(**مِنْ بَعْدِهِ**) قيل : من بعد موسى، وذلك أنهم عبدوا العجل بعد أن فارقهم موسى ماضياً إلى ميقات ربه، وقيل : من بعده ، أي من بعد مجيء موسى عليه السلام إليكم بالبينات ، والأول أقوى .

(**وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ**) لأنفسكم ، لأنكم أشركتم بالله تعالى ، لأن الشرك أعظم الظلم ، لأن أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والمشرك ظالم ، لأنه وضع العبادة التي هي حق لله تعالى وحده ، وضعها في المخلوق الضعيف الفقير أو وضعها لصنم أو حجر أو شجر ، ولأجل هذا البيان فإن القرآن يكثر الله فيه إطلاق الظلم على الشرك ،كما قال تعالى عن العبد الصالح (إن

الشرك لظلم عظيم) ، وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ فسر قوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) قال : بشرك ، ثم تلا قول لقمان (إن الشرك لظلم عظيم) ، وقال تعالى (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين) أي : من المشركين .

ولم يأت الظلم في القرآن إلا بهذا المعنى ، إلا في موضع واحد في سورة الكهف ، بمعنى النقص ، كما قال تعالى (كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً) أي ولم تنقص .

الفوائد :

١- بيان تعصب اليهود لما هم عليه من الطريق ولو كانت خاطئة .

٢- التحذير من التشبه باليهود في التعصب للآراء .

٣- تكذيب الله لليهود بقوله (نؤمن بما أنزل علينا) لأنهم لو آمنوا به ، لآمنوا بمحمد ﷺ .

٤- بيان عتو وعناد اليهود لأنهم قالوا (لا نؤمن إلا بما أنزل علينا .

٥- أن اليهود قتلة الأنبياء ، وهذا من أعظم المنكرات .

٦- أن القرآن منزل غير مخلوق .

٧- إفحام الخصم بإقامة الحجة عليه من فعله ، وذلك أن الله أقام الحجة على اليهود الحجة على فعلهم ، وهم قد قتلوا أنبياء الله الذين جاءوا بالكتاب إليهم .

٨- إقامة الحجة على اليهود حيث جاءهم موسى بالبينات الواضحات ومع ذلك اتخذوا العجل إلهاً .

٩- سفاهة اليهود لاتخاذهم العجل إلهاً مع أنهم هم الذين صنعوه .

١٠- أن المشرك ظالم .

١١- أن الظلم درجات ، أعظمه الشرك بالله .

ومن الظلم : ظلم العبد نفسه بالمعاصي كما قال تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) .

ومن الظلم: ظلم العباد بعضهم بعضاً: كما في الحديث (قال الله: إني حرمت الظلم وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا). رواه مسلم

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٩٣)) .

[البقرة : ٩٣] .

(**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ**) تقدم شرحها عند آية [٦٣] .

- **قال الرازي** : اعلم أن في الإعادة وجوهاً :

أحدها : أن التكرار في هذا وأمثاله للتأكيد وإيجاب الحجة على الخصم على عادة العرب .

وثانيها : أنه إنما ذكر ذلك مع زيادة وهي قولهم (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا) وذلك يدل على نهاية لجاجهم .

وقال أبو حيان : وإنما كررت لدعواهم أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم ، وهم كاذبون في ذلك.

ألا ترى أن اتخاذ العجل ليس في التوراة ؟ بل فيها أن يفرد الله بالعبادة ، ولأن عبادة غير الله أكبر المعاصي ، فكرر عبادة العجل تنبيهاً على عظيم جرمهم.

وفي هذا التكرار أيضاً من الفائدة تذكارهم بتعداد نعم الله عليهم ونقمه منهم ، ليزدجر الأخلاف بما حل بالأسلاف .

(**بِقُوَّةٍ**) تقدم شرحها ، ومعناه : أي : أُمروا أن يأخذوا الكتاب الذي أنزله عليهم وهو التوراة بقوة في تصديق أخباره والعمل بأحكامه .

(**وَاسْمَعُوا**) المراد بالسمع هنا الإجابة، ومنه قولهم (سمعاً وطاعة) أي: إجابة، ومنه (سمع الله لمن حمده) في الصلاة ، أي: أجاب دعاء من حمده ، ويشهد له قوله تعالى (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا) وهذا قول الجمهور .

وقيل : المراد (وَاسْمَعُوا) بآذانكم ولا تمتنعوا من أصل الاستماع .

– **قال ابن عاشور** : قوله : (واسمعوا) مراد به الامتثال فهو كناية كما تقول فلان لا يسمع كلامي أي لا يمتثل أمري إذ ليس الأمر هنا بالسماع بمعنى الإصغاء إلى التوراة فإن قوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) يتضمنه ابتداء .

(**قَالُوا سَمِعْنَا**) بآذاننا .

(**وَعَصَيْنَا**) بأفعالنا ، والعصيان مخالفة الأمر ، إن كان أمراً فبتركه ، وإن كان نهياً فبارتكابه ، وقولهم هذا : غاية ما يكون من المحادة لله عز وجل ورسله .

(**وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ**) أي : حب العجل ، حتى خلص ذلك إلى قلوبهم ، وهذا تشبيه ومجاز عبارة عن تمكن العجل في قلوبهم .

– **قال القرطبي** : وإنما عبر عن حب العجل بالشرب دون الأكل ، لأن شرب الماء يتغلغل في الأعضاء حتى يصل إلى باطنها ، والطعام مجاور لها غير متغلغل فيها .

– **وقال ابن عطية** : قوله تعالى (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) التقدير حب العجل ، والمعنى جعلت قلوبهم تشربه ، وهذا تشبيه ومجاز ، عبارة عن تمكن أمر العجل في قلوبهم .

– **وقال ابن عاشور** : وإنما جعل حبهم العجل إشراباً لهم للإشارة إلى أنه بلغ حبهم العجل مبلغ الأمر الذي لا اختيار لهم فيه كأن غيرهم أشربهم إياه كقولهم أُولِع بكذا وشُغِف .

فائدة : قِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ: مَا بَالُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ لَهُمْ مَحَبَّةٌ شَدِيدَةٌ لِأَهْوَائِهِمْ ؟، فَقَالَ: أَنَسِيتَ قَوْله تَعَالَى: (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِم) .

(**بِكُفْرِهِمْ**) أي : بسبب كفرهم .

(**قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ**) أي : قل لهم على سبيل التهكم بهم ، بئس هذا الإيمان الذي يأمركم بعبادة العجل .

(**إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**) أي : إن كنتم تزعمون الإيمان فبئس هذا العمل والصنيع ، والمعنى : لستم بمؤمنين ، لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل .

الفوائد :

١– أن الله أخذ الميثاق على بني إسرائيل بالإيمان .

٢– بيان قدرة الله تعالى .

٣– وجوب تلقي الشريعة بالقوة والنشاط دون الكسل .

٤– بيان عتو بني إسرائيل .

٥– أن الله تعالى قد يبتلي العبد ، فيملأ قلبه حباً لما يكرهه لقوله (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) .

(قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)) .

[البقرة : ٩٤- ٩٦] .

(**قُلْ**) يا محمد لهؤلاء اليهود .

(**إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ**) يعني الجنة .

(**عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ**) كما تزعمون أن لكم الجنة دون الناس ، فإن اليهود ادعوا دعاوى باطلة :

كقولهم (وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً) .

وقولهم (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى) .

وقولهم (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)

- **قال ابن عاشور** : قوله تعالى (من دون الناس) والمراد من الناس جميع الناس فاللام فيه للاستغراق لأنهم قالوا (لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً) .

فأكذبهم الله بقوله :

(**فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**) وقد اختلف العلماء في معنى (فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ) على قولين :

القول الأول : دعاهم لتمني الموت إن كانوا من أهل الجنة كما يزعمون .

لأن من اعتقد أنه من أهل الجنة كان الموت أحب إليه من الحياة ، لما يصير إليه من نعيم الجنة ويزول عنه أذى الدنيا ، فأحجموا عن تمي ذلك فرقاً من الله لقبح أعمالهم ، وحرصهم على الدنيا .

وهذا القول رجحه ابن جرير .

القول الثاني : المراد المباهلة ، أي : ادعوا بالموت على أكذب الفريقين منا ومنكم فما دعوا لعلمهم بكذبهم .

ورجح هذا القول ابن كثير وقال : هذا هو المتعين وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة ، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس ، ونظير هذه الآية قوله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) فهم عليهم لعائن الله لما زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، دعُوا إلى المباهلة والدعاء على أكذب الطائفتين منهم أو من المسلمين ، فلما نكلوا عن ذلك ، علم كل أحد أنهم ظالمون ، لأنهم لو كانوا جازمين بما هم فيه لكانوا أقدموا على ذلك ، فلما تأخروا علِم كذبهم .

- **قال ابن كثير** : وسميت هذه المباهلة تمنياً ، لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له .

(**وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**) أي : ولن يتمنوا الموت ما عاشوا بسبب ما اجترحوه من الذنوب والآثام .

- والذي قدمته أيديهم : تكذيبهم الأنبياء ، وقتلهم إياهم ، وقولهم (أرنا الله جهرة) ، وقولهم (اجعل لنا إلهاً) وقولهم (فاذهب أنت وربك) واعتداؤهم في السبت ، وسائر الكبائر التي لم تصدر من أمة قبلهم ولا بعدهم.
- **قال أبو حيان** : (ولن يتمنوه أبداً بما قدّمت أيديهم) هذا من المعجزات ، لأنه إخبار بالغيب .

- وأضيفت الأعمال إلى اليد ، لأن أكثر الجنايات التي يرتكبها الإنسان تكون بيده فأضيفت سائر أعمال الجوارح إلى اليد تغليباً ، فتحريف التوراة كان باليد ، وقتل الأنبياء كان باليد .
- **قال الرازي** : قوله تعالى (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ) فبيان للعلة التي لها لا يتمنون (الموت) لأنهم إذا علموا سوء طريقتهم وكثرة ذنوبهم دعاهم ذلك إلى أن لا يتمنوا الموت.

(**وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**) تهديد لكل ظالم، أن الله عليم بهم وبأعمالهم وسيجازيهم عليها، وأعظم الظلم الشرك بالله كما تقدم.

- **قال الرازي** : قوله تعالى (والله عليم بالظالمين) فهو كالزجر والتهديد لأنه إذا كان عالماً بالسر والنجوى ولم يمكن إخفاء شيء عنه صار تصور المكلف لذلك من أعظم الصوارف عن المعاصي ، وإنما ذكر الظالمين لأن كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافراً فلما كان ذلك أعم كان أولى بالذكر.

(**وَلَتَجِدَنَّهُمْ**) أي : اليهود .

(**أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ**) أي : على طول العمر ، لما يعلمون من مآلهم السيئ وعاقبتهم عند الله الخاسرة .

- **قال ابن عاشور** : والمراد من الناس في الظاهر جميع الناس أي جميع البشر فهم أحرصهم على الحياة فإن الحرص على الحياة غريزية في الناس إلا أن الناس فيه متفاوتون قوة وكيفية وأسباباً .

(**وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**) أي: وأحرص من الذين أشركوا الذين لا كتاب لهم، لأن مشركي العرب لا يعرفون إلا هذه الحياة، ولا علم لهم من الآخرة ، وقيل : إن الكلام تم في (حياة) ثم استأنف الإخبار عن طائفة من المشركين ، **والأول أصح** .

- **قال في التسهيل** : (وَمِنَ الذين أَشْرَكُواْ) فيه وجهان :

أحدهما : أن يكون عطفاً على ما قبله فيوصل به ، ولمعنى أن اليهود أحرص على الحياة من الناس ومن الذين أشركوا ، فحمل على المعنى كأنه قال : أحرص من الناس ومن الذين أشركوا ، وخص الذين أشركوا بالذكر بعد دخولهم في عموم الناس لأنهم لا يؤمنون بالآخرة فإفراط حبهم للحياة الدنيا .

والآخر : أن يكون من الذين أشركوا ابتداء كلام فيوقف على ما قبله ، والمعنى : من الذين أشركوا قوم (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ) فحذف الموصوف .

وقيل : أراد به المجوس ، لأنهم يقولون لملوكهم عش ألف سنة ، **والأول أظهر**؛ لأن الكلام إنما هو في اليهود ، وعلى الثاني يخرج الكلام عنهم .

- **قال السعدي** : هم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس ، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون بأحد من الرسل والكتب .

(**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ**) أي : يتمنى أحدهم .

(**لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**) أي : أن يعيش ألف سنة ، وهذا أبلغ ما يكون من الحرص ، تمنوا حالة هي من المحالات .

- وعبر بالألف لأن العرب كانت تعبر به عند إرادة المبالغة .
- **قال الرازي:** (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ) فالمراد أنه تعالى بيّن بعدهم عن تمني الموت من حيث إنهم يتمنون هذا البقاء ويحرصون عليه هذا الحرص الشديد، ومن هذا حاله كيف يتصور منه تمني الموت.

(**وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ**) أي : وما طول العمر – مهما عمّر – بمبعده ومنجيه من عذاب الله .

- **قال الشنقيطي** : إذا عرفت معنى الآية فاعلم أن الله قد أوضح هذا المعنى مبيناً أن الإنسان لو متع ما متع من السنين ثم انقضى ذلك المتاع وجاءه العذاب ، أن ذلك المتاع الفائت لا ينفعه ، ولا يغني عنه شيئاً بعد انقضائه وحلول العذاب محله. وذلك

في قوله (أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ مَآ أغنى عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ) ، وهذه هي أعظم آية في إزالة الداء العضال الذي هو طول الأمل. كفانا الله والمؤمنين شره .

(**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**) تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم ، فالله بصير بالذي يعملونه من ظاهر وباطن ، وخير وشر .

- وبصير يجوز أن يكون من الإبصار بالعين ، ويجوز أن يكون من الإبصار بالعلم

الفوائد :

١- تكذيب اليهود الذين قالوا لنا الآخرة دون الناس .

٢- أن الكافر يكره الموت لما يعلم من سوء العاقبة .

٣- إثبات علم الله للمستقبل .

٤- أن اليهود أحرص الناس على حياة .

٥- ذم الحرص على الحياة ، وأن ذلك من صفات اليهود .

٦- أن كل من كان مذنباً عاصياً لله فإنه يكره الموت .

٧- أن الإنسان مهما طال عمره فإنه لابد أن يموت .

٨- أن طول العمر لا ينفع الإنسان شيئاً إذا كان في معصية ، بل يكون وبالاً وعذاباً عليه .

٩- إثبات البصر لله تعالى .

(قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨)) .

[البقرة ٩٧-٩٨]

(**قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ**) **قال الطبري** : أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل ؛ إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ، وأن ميكائيل ولي لهم .

عن ابن عباس قال (أقبلت يهود على رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم؛ أخبرنا عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قال: والله على ما نقول وكيل، قال: هاتوا، قالوا: أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر؟ قال: يلتقي الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت. قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: كان يشتكي عرق النساء، فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا - قال أحمد: قال بعضهم يعني الإبل - فحرم لحومها. قالوا: صدقت. قالوا: فأخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: ملك من ملائكة الله عز وجل موكل بالسحاب بيديه أو في يديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله تعالى. قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: صوته. قالوا: صدقت. قالوا: إنما بقيت واحدة وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها، إنه ليس من نبي إلا وله ملك يأتيه بالخير، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل عليه السلام. قالوا: جبريل ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والقطر والنبات لكان، فأنزل الله (قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ ...) .

- **قال ابن عاشور** : ومن عجيب تهافت اعتقادهم أنهم يثبتون أنه ملك مرسل من الله ويبغضونه ، وهذا من أحط دركات الانحطاط في العقل والعقيدة ، ولا شك أن اضطراب العقيدة من أكبر مظاهر انحطاط الأمة لأنه ينبئ عن تظاهر آرائهم على الخطأ والأوهام .

(**فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ**) أي من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه، فهو رسول من رسل الله ملكي، ومن عادى رسولاً فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول يلزمه الإيمان بجميع الرسل، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل، كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ...) فحكم عليهم بالكفر المحقق إذا آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله، لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنما ينزل بأمر ربه، كما قال تعالى (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) .

- فقوله (فإنه) أي : جبريل ، (نزّله) أي : نزّل القرآن ، مع أن القرآن لم يسبق له ذكر ، لكن عاد الضمير للقرآن ، لأنه مفهوم من السياق كما في قوله تعالى (ما ترك على ظهرها من دابة) فحذفت الأرض لدلالة السياق عليها .

- **قال الرازي** : قوله تعالى (فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ على قَلْبِكَ) الهاء في قوله تعالى (فإنه) وفي قوله (نزله) إلى ماذا يعود ؟

الجواب فيه قولان : أحدهما : أن الهاء الأولى تعود على جبريل والثانية : على القرآن وإن لم يجر له ذكر لأنه كالمعلوم كقوله (مَا تَرَكَ على ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ) يعني على الأرض وهذا قول ابن عباس وأكثر أهل العلم ، أي إن كانت عداوتهم لأن جبريل ينزل القرآن فإنما ينزله بإذن الله.

- **قال القرطبي** رحمه الله : وخص القلب بالذكر ؛ لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف .

- **قال الشنقيطي** في قوله (فإنه نزله على قلبك) : ظاهر هذه الآية أن جبريل ألقى القرآن على قلب النبي ﷺ من غير سماع قراءة ، ونظيرها في ذلك قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك) ولكنه بين في مواضع أخر أن معنى ذلك : أن الملك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه، فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه ، وذلك كما في قوله تعالى : (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ . فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) وقوله : (فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً) .

- **قوله تعالى** (**بِإِذْنِ اللَّهِ**) فيه أن جبريل لا ينزل من عند نفسه بل ينزل بإذن الله .

(**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**)سبق الكلام عن معناه .

(**وَهُدًى**) أي : هدى لقلوبهم .

(**وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**) وبشرى لهم بالجنة ، وليس ذلك إلا للمؤمنين ، كما قال تعالى : (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ) وقال تعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) .

- **قال ابن عاشور** : والبشرى الإخبار بحصول أمر سار أو بترقب حصوله ، فالقرآن بشر المؤمنين بأنهم على هدى وكمال ورضى من الله تعالى وبشرهم بأن الله سيؤتيهم خير الدنيا وخير الآخرة.

- **وقال رحمه الله** : فقد حصل من الأوصاف الخمسة للقرآن وهي أنه منزل من عند الله بإذن الله ، وأنه منزل على قلب الرسول ، وأنه مصدق لما سبقه من الكتب ، وأنه هاد أبلغ هدى ، وأنه بشرى للمؤمنين ، الثناء على القرآن بكرم الأصل وكرم المقر وكرم الفئة ومفيض الخير على أتباعه الأخيار خيراً عاجلاً وواعد لهم بعاقبة الخير.

(**مَن كَانَ عَدُوّاً لِلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ** ...) يقول تعالى : من عاداني وملائكتي ورسلي ؛ ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر كما قال تعالى : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ) .

- قوله تعالى (وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ) هذا من باب عطف الخاص على العام، فإنهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل، ثم خُصِّصَا بالذكر، لأن السياق في الانتصار لجبرائيل وهو السفير بين الله وبين أنبيائه، وقرن معه ميكائيل في اللفظ؛ لأن اليهود زعموا أن جبرائيل عدوهم، وميكائيل وليهم، فأعلمهم الله أن من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضاً .

وقيل : خُصا بالذكر تشريفاً لهما وبياناً لفضلهما .

- **قال الماوردى** : فإن قيل : فلم قال (مَن كَانَ عَدُوّاً لِلّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ) وقد دخل جبريل وميكائيل في عموم الملائكة فلِمَ خصهما بالذكر ؟ فعنه جوابان :

أحدهما : أنهما خُصَّا بالذكر تشريفاً لهما وتمييزاً.

والثاني : أن اليهود لما قالوا جبريل عدوّنا ، وميكائيل ولينا ، خُصَّا بالذكر ، لأن اليهود تزعم أنهم ليسوا بأعداء لله وملائكته ، لأن جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة ، فنص عليهما لإبطال ما يتأولونه من التخصيص.

وقال ابن عاشور : وخُص جبريل بالذكر هنا لزيادة الاهتمام بعقاب معاديه

(**فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**) أظهر في موضع الإضمار فإنه قال (عدو للكافرين) ولم يقل : عدو لهم ، لثلاثة أمور :

أولاً : الحكم على أن من كان عدواً لله ومن ذُكر ، بأنه يكون كافراً .

الثاني : أن كل كافر سواء كان سبب كفره معاداة الله أولا ، فالله عدو له .

الثالث : بيان العلة – وهي في هذه الآية – الكفر . [قاله الشيخ ابن عثيمين] .

قال الشيخ السبت : أظهر هنا في موضع الإضمار ، من أجل أن يبين أن عداوة جبريل كفر بالله .

الفوائد :

١- شرف جبريل عليه السلام حيث كان موكلاً بتنزيل الوحي على رسول الله ﷺ .

٢- ذم من عادى جبريل .

٣- شرف جبريل وميكائيل ، وجاء في صحيح مسلم عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يقول : (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) .

٤- أن القلب هو محل الوعي والفهم .

٥- أن نزول جبريل بالوحي على رسول الله ﷺ كان بإذن الله .

٦- بيان أن لجبريل عليه السلام وإن كان من الملائكة ، أعداء من البشر من بني آدم ومن أولهم اليهود .

٧- أن هذا القرآن لا يهتدي به وينتفع به ويكون بشرى إلا للمؤمنين ، أما غير المؤمنين فإنه لا ينتفع بهذا القرآن .

٨- أن كل من كان عدواً لله أو ملائكته أو لرسله أو لجبريل وميكال ، فإنه كافر .

٩- أن كل كافر هو عدو لله ، ويشهد لهذا قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ) .

١٠- أن كل من كان عدواً لله، فإنه يجب أن يكون عدواً للمؤمنين، لأن من أحب أحداً كان ولياً لمن والاه وعدواً لمن عاداه.

(**وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ (٩٩)**) .

[البقرة: ٩٩]

(وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) قال ابن جرير في هذه الآية: أي أنزلنا إليك يا محمد علامات واضحات دالات على نبوتك ، وتلك الآيات هو ما حواه كتاب الله من خفايا علم اليهود ومكنونات سرائر أخبارهم وأخبار أوائلهم من بني إسرائيل والنبأ عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم وعلماؤهم، فأطلع الله في كتابه الذي أنزله على محمد ﷺ ، فكان من ذلك في أمره الآيات البينات لمن أنصف من نفسه ولم يدعها إلى هلاكها الحسد والبغي ، إذ كان في فطرة كل ذي فطرة صحيحة ؛ تصديق من أتى بمثل ما جاء به محمد ﷺ من الآيات البينات . (تفسير الطبري) .

قال الرازي : الأظهر أن المراد من الآيات البينات القرآن الذي لا يأتي بمثله الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وقال بعضهم : لا يمتنع أن يكون المراد من الآيات البينات القرآن مع سائر الدلائل نحو امتناعهم من المباهلة ومن تمني الموت وسائر المعجزات نحو إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل ونبوع الماء من بين أصابعه وانشقاق القمر .

(**وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ**) أي : وما يجحد بهذه الآيات ويكذب بها إلا الجاحدون عن الطاعة الماردون عن الكفر .

قال أبو حيان (وما يكفر بها إلا الفاسقون) المراد بالفاسقين هنا : الكافرون ، لأن كفر آيات الله تعالى هو من باب فسق العقائد ، فليس من باب فسق الأفعال.

سبق أن الفسق يطلق على الفسق المخرج عن الملة ، وعلى الفسق ما دون ذلك .

الفوائد :

١- أن القرآن آيات بينات ليس فيها غموض ولا إشكال .

٢- الرد على من قال : إن آيات القرآن مشتبهات لا يعلم معناها الناس ، فإن جميع آيات القرآن الكريم معلومة المعنى وليس فيها شيء مجهول المعنى لجميع الأمة ، لو كان فيها شيء مجهول المعنى لجميع الأمة لم يكن القرآن بياناً ، بل كان بعضه بياناً وبعضه غير بيان .

٣- أنه لا يكفر بهذه الآيات التي أنزلها على محمد ﷺ إلا الفاسق الخارج عن طاعة الله .

٤- أن كل من كان أطوع لله عز وجل وأقوم لطاعته ، كان ظهور الآيات الكريمة في القرآن أبين عنده وأوضح .

٥- يجب العناية بهذا القرآن .

(أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ (١٠٠)) .

[البقرة: ١٠٠]

(**أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**) يقول تعالى في هذه الآية موبخاً هؤلاء القوم بنبذ فريق منهم لما عاهدوا عليه ، يقول (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ) ثم يبين أن هذا النبذ بالعهد لكون أكثرهم لا يؤمنون .

- **قال الرازي** : أراد تسلية الرسول عند كفرهم بما أنزل عليه من الآيات بأن ذلك ليس ببدع منهم ، بل هو سجيتهم وعادتهم وعادة سلفهم على ما بينه في الآيات المتقدمة من نقضهم العهود والمواثيق حالاً بعد حال لأن من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته بذلك
- والنبذ الطرح والإلقاء ، ومنه سمي اللقيط منبوذاً .
- قيل إن اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به ولنكونن معه على مشركي العرب ، فلما بُعِثَ كفروا به، وقال عطاء: هي العهود التي كانت بين النبي ﷺ وبين اليهود فنقضوها ، كفعل قريظة والنظير .

- **قال الشنقيطي** عند هذه الآية ، قال : ذكر في هذه الآية أن اليهود كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم، وصرح في موضع آخر أن رسول الله ﷺ هو المعاهد لهم وأنهم ينقضون عهدهم في كل مرة ، وذلك في قوله تعالى : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ) .

وصرح في آية أخرى بأنهم أهل خيانة إلا القليل منهم ، وذلك في قوله : (وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ) .

- يجب الحذر من اليهود ، فإن من دأبهم الغدر ونقض العهود ، كما قال تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) وقال تعالى (وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ) .

(**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**) أي : بل أكثر اليهود لا يؤمن بالتوراة الإيمان الصادق لذلك ينقضون العهود والمواثيق .

- **قال ابن عاشور** : وليس المراد أن ذلك الفريق قليل منهم فنبه على أنه أكثرهم بقوله (بل أكثرهم لا يؤمنون) .
- **قال أبو حيان** : ولما كان الفريق ينطلق على القليل والكثير ، وأسند النبذ إليه ، كان فيما يتبادر إليه الذهن أنه يحتّمل أن يكون النابذون قليلاً ، فبين أن النابذين هم الأكثر ، وصار ذكر الأكثر دليلاً على أن الفريق هنا لا يراد به اليسير منهم ، فكان هذا إضراباً عما يحتمله لفظ الفريق من دلالته على القليل.

الفوائد :

١- توبيخ من عاهد عهداً فنبذه .

٢- أنه إذا وقع الخطاب من بعض قوم فإنه لا ينسب إلى الجميع ، بل العدل أن يشار إلى أن هذا – الذي حصل – إنما كان من فريق منهم لئلا يلحق العار جميع القوم مع براءة بعضهم منه .

٣- أن نقض العهد علامة على نقض الإيمان ، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ : أن من خصال النفاق الغدر بالعهد .